

البحث الوثائقي والترجمة: مفاهيم واستراتيجيات

Documentary Research and Sources of Knowledge

ياسمينه بن برينيس Yasmina BENBRINIS

مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن

معهد الترجمة، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، الجزائر

btranslationoffice@yahoo.com

DOI: 10.46314/1704-021-001-006

تاريخ الاستلام: 2021/06/27 تاريخ القبول: 2021/07/08 تاريخ النشر: 2021/07/20

ملخص:

يعد البحث التوثيقي أداة بحث إلزامية لا غنى عنها في العملية الترجمة، يركز المترجم عليها ليسد كل الثغرات الإدراكية والمفهومية التي تواجهه في ترجمته، وتشكل عقبة بينه وبين بلوغ درجة الفهم والاستيعاب التي تعد من أهم مقومات الفعل الترجمي وشرطا من شروط نجاحه وجودته. إنه من أهم المجالات التي ذاع صيتها مؤخرا في مجال الترجمة لا سيما الترجمة المتخصصة والتقنية. وإننا من خلال هذه الدراسة سنحاول تناول أهم القضايا التي تحيط بهذه المرحلة الحاسمة من مسار الترجمة. فما هو البحث التوثيقي؟ ما هي منهجية البحث التوثيقي والمصطلحي الناجح؟ وكيف يسهم هذا البحث في جودة الترجمة من رداءتها؟ وهل هو حكر على أنواع معينة من النصوص دون غيرها؟ إنها إشكاليات من صميم الدراسة تهدف الإجابة عنها للتعريف بهذه الأداة المنهجية الفعالة في مسار العملية الترجمة وجودتها.

الكلمات المفتاحية: منهجية البحث التوثيقي؛ البحث المصطلحي؛ جودة الترجمة؛ اكتساب المعارف؛ مصادر المعرفة.

Abstract:

Documentary research is a primordial and essential research tool in the translation process on which the translator relies to fill all the cognitive and conceptual gaps that he is confronted with in his translation, and constitutes an obstacle between him and the achievement of the degree of understanding and assimilation, which is considered as one of the most important elements of the act of translation and also constitutes one of the conditions for its success and quality. It is one of the most important fields, which has recently become famous in the field of translation, especially the specialized and the technical translation. We will attempt through this study, to deal with the most important questions surrounding this crucial stage of the translation process. So what is then documentary research?

What is the methodology for a successful documentary and terminological research? How does this research contribute in the improvement of quality in translation? Is it limited to certain types of texts and not to others?

These are the issues of the study, and the answer will aim to introduce this effective methodological tool in the course of the translation process and its quality.

Keywords: Documentary research methodology; Terminological research; Quality of translation; Knowledge acquisition; Knowledge resources.

مقدمة:

من الضروري أن يعتمد المترجم على البحث الوثائقي لأنه يمكنه من مجال التخصص الذي يشتغل فيه. فلا يكفي أن يكون ملماً باللغات التي يتعامل معها فحسب، بل أن يكون متمكناً من الموضوع الذي يقوم بنقله إلى اللغة الهدف، قادراً على القيام ببحوثه الموثقة التي تساعد على اكتساب المعارف ومن ثم فهم النص المصدر فهماً سليماً.

ومما لا شك فيه أن عملية التوثيق تعد من أهم المراحل التي ينبغي أن يقف عندها المترجم بتأن. فكلما كان مجموع المعلومات التي يملكها عن الموضوع ضئيلاً، وجب أن يكون البحث واسعاً ومعقداً، أي قادراً على تأمين الفهم الحقيقي. أما البحث السطحي فمن شأنه أن يحمل معه خطر الوقوع في الالتباس والتأويلات الخاطئة. ومن حق المترجم أن يعتمد إلى استخدام كل ما هو ضروري من مصادر ومراجع (بما في ذلك الأدوات التكنولوجية المساعدة) لإنجاز ترجمة جيدة. وغني عن القول، إن المكتبات تضطلع بدور مهم وفعال في خدمة البحوث بكل أشكالها. فهي ركن أساسي من الأركان التي تمتد الباحثين من طلبة وأساتذة ومترجمين بما يحتاجون إليه من معلومات أساسية عامة ومتخصصة. ومن المعروف أن نجاحها يتحدد في تنوع أوعية المعرفة وشمولها لفروع الإنسانية ولسعياً المستمر لمواكبة التطورات التقنية. فمن الطبيعي أن يقاس نجاحها بمدى قوة الوثائق التي تتوافر لديها. فكلما كانت مجموعات المصادر المكتبية شاملة لفروع المعرفة ومتنوعة المستويات، كانت في وضع يمكنها من تلبية احتياجات الباحثين والقراء.

1- البحث الوثائقي:

البحث الوثائقي مصطلح ذاع صيته في السنوات الأخيرة، لاسيما بعد أن تقرر تدريسه للطلبة في العديد من معاهد الترجمة. فهو عملية تفرض نفسها، في كثير من الحالات، لما تجنيه من نتائج قيمة، وسيلة أساسية تمكن المترجم من تجاوز العديد من العقبات. فما المقصود بهذا البحث؟ وما هي الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها؟

إن كلمة "الوثائقي" مشتقة من الفعل وثق وثق، ثقة، أي ائتمنه، والشئ الوثيق هو الشئ المحكم أو المدون (ابن منظور). والوثيقة هي كل شئ مسجل خلفه البشر، وعاء، مهما كان نوعه (خشب، ورق، جلد...) يتضمن حقائق ومعارف ومعلومات تتعلق بموضوع معين... وتوثق الشعوب معارفها وتاريخها وإنجازاتها في وثائق لترجع إليها عند الحاجة. فلقد عرف الإنسان الكتابة والتدوين بدافع الحاجة إلى التوثيق والتسجيل التي دعت إليها ظروف التطور منذ قيام الحضارات الإنسانية القديمة. والوثيقة (document) أوسع من النص المكتوب لأنها تشمل كافة الوثائق والمصادر والأدلة والشواهد، المكتوبة وغير المكتوبة، المادية أو غير المادية، التي تتضمن تسجيلاً لحوادث ووقائع ومعلومات يعتمد عليها في البحث والتجريب للوصول إلى الحقيقة (الصباغ، 1978، ص152).

وإذا انتقلنا إلى مصطلح "البحث الوثائقي" la recherche documentaire فإننا نجد المعاجم تعرفه على أنه "البحث عن الوثائق المختلفة التي تدعم دراسة أو أطروحة ما، كل ما يصلح شاهداً أو معلومة للباحث" (Robert). أي أنه عملية جمع معلومات معينة وتصنيفها واستثمارها بالاعتماد على مجموعة من المصادر الوثائقية.

وقد أطلق على المؤسسات التي تعنى بتخزين الوثائق ويمكن اللجوء إليها من أجل التماس المعلومات عدة تسميات مثل المكتبات وخزائن الوثائق ودور المحفوظات ومراكز التوثيق. ومن الواضح أن الهدف الأساسي من إنشاء هذه المؤسسات والهيئات هو وضع ما يطبع من وثائق في متناول القراء والدارسين. فهي تقوم في عالم اليوم بدور خطير لا سبيل إلى إنكاره: هي معاهد للبحث العلمي ومراكز للثقافة الفردية ووسائل يستطيع كل إنسان أن يكون نفسه فيها بالاعتماد على البحث الشخصي.

إن الحاجة إلى المعرفة تزداد اليوم عن طريق البحوث الوثائقية أكثر من أي وقت مضى. فالمؤسسات العالمية في سياق محموم لاكتساب أكبر قدر ممكن من المعرفة الدقيقة المستمدة من العلوم والتي تقود إلى التقدم والرفاهية وتضمن التفوق على الأزمات والمخاطر. وليس غريباً أن يكثر حالياً الحديث، في الأوساط التي تستثمر الانترنت والمكتبات الإلكترونية، حول "رقمنة الأرشيف الوثائقي" و"الأدوات الإلكترونية للبحث الوثائقي" و"بنوك المعطيات الوثائقية" و"الرصيد الوثائقي" وغيرها من المصطلحات المفاتيح التي تتحكم في "اقتصاد المعرفة". فلقد تأكد بما لا يدع مجالاً للشك أن التحكم في تقنيات البحث هو مفتاح النجاح والتقدم.

انطلاقا من هذه التعاريف، يمكن استنتاج الحقائق التالية:

- إن البحث الوثائقي عمل منظم يقوم به شخص معين (المترجم مثلا) من أجل جمع معلومات من وثائق مختلفة، مطبوعة أو إلكترونية أو سمعية بشرية، تساعد على فهم موضوع معين من موضوعات المعرفة.
- إن البحث الوثائقي يعتمد على الجمع المتأني والدقيق للوثائق بهدف فهم موضوع أو مشكلة في ما يتوفر من معلومات موثقة.
- إن البحث الوثائقي هو نوع من أنواع البحوث يتم فيه اكتشاف معرفة جديدة تعمق الفهم لموضوع معين، أي أنه يؤدي دورا مهما في توسيع آفاق معرفة المترجم: يمكن من اكتشاف معلومات جديدة ترفد المعارف المكتسبة السابقة.
- إن هذا النوع من البحوث يسهل مهمة القارئ/المترجم ويوفر له ما يحتاج إليه من معلومات لسد ثغرات مخزونه المعرفي. فهو يصب في الترجمة ويرفدها بما تحتاج إليه من مصطلحات ومفاهيم.

وفي الحقيقة، إن المترجم، مهما بلغت درجة ثقافته لا يمكن أن يكون متخصصا في كل المعارف الموضوعاتية. فهو مطالب بالبحث عن المعلومات التي تنقصه حتى يتمكن من توسيع قاعدة معرفته عن الموضوع المطروق، ومن ثم إنجاز ترجمة سليمة. وقد لا نأتي بجديد إذا قلنا إن هذا البحث لا يساعد المترجم على اكتساب المعارف الموضوعاتية فحسب (أي المكملات التي تسد ثغرة الفهم) وإنما يحميه أيضا من الوقوع في شرك المعجم المزدوج الذي يكتفي بإقامة تقابلات خارج السياق (أي أنه يمكنه من فهم المصطلحات المتداولة في مجال معين) ويسهل عليه اكتساب لغات الاختصاص (Valiquette).

وليس عيبا أن يقوم القارئ/المترجم بالبحث عن المعارف والمعلومات التي تنقصه من المصادر المختلفة. فمثل هذا البحث يمكنه من استيفاء المعلومات الدقيقة وتوثيقها ومن ثم من فهمها فهما صحيحا. فكلما كان المترجم ملما بموضوع النص ولغته وأفكاره، استطاع أن ينجز ترجمة سليمة. فحري به "أن يبني لنفسه جسر عبور متين وأن يدعمه وإلا كان كالمهلوان الذي يقوم، على حد تعبير جان رينيه لادميرال، بقفزة مميتة بين قراءة النص وتحصيل معناه في الذهن. وإذا كان المعنى قريب المتناول، أدركه المترجم بسهولة وأدى القفزة بين مرحلتي القراءة وتحصيل المعنى على سلامة. أما إذا كان المعنى بعيدا عن متناول المترجم، فقد يهوي في سعيه إلى القفز بين

القراءة وتحصيل المعنى، ويكون الفشل ذريعا، يلحق الضرر به وبالمعنى" (أبو فضل، 2005، ص88).

1-1 البحث الوثائقي بلغتين:

1-1-1 البحث بلغة الهدف:

انطلاقا من المبدأ القائل إن المترجم يعمل عادة نحو لغته الأم، يحمل البحث الوثائقي باللغة الهدف مكسبا مزدوجا: يقدم-أولا- معلومة قابلة للفهم بسرعة، ويقدم-ثانيا- لغة اصطلاحية واستخداماتها بشكل يمكن استغلاله مباشرة في تنفيذ الترجمة (دوريو 2007، ص70). فمثل هذا العمل (البحث باللغة الهدف) وسيلة تسهم في:

- خلق ترجمة مقبولة بكل المقاييس، يزيل الغموض ويقي المترجم شر الوقوع في حبال اللبس والالتباس.

- التنقيب عن المعارف الموضوعاتية اللازمة من أجل الفهم وتحديد أبعاد النص موضوع الترجمة.

- الإلمام بالمصطلحات في اللغة الهدف، ومن تم بما يسمى "بلغة الاختصاص".

2-1-1 البحث باللغة المصدر:

إن العديد من المختصين يفضلون أن يتم البحث باللغتين المصدر والهدف، وذلك حتى يتسنى للمترجم أن يعقد مقارنات بين النصوص المكتوبة باللغتين واستخراج المصطلحات الضرورية داخل العبارات أي داخل سياقاتها. فالبحث باللغة المصدر "لا يقدم مساعدة مادية للمترجم في إعادة التعبير باللغة الهدف، بيد أنه ينبغي عدم إهماله لاسيما إذا كنا نترجم من اللغة الأم إلى لغة أجنبية، ذلك أن المعلومة تصبح أكثر قابلية للاستيعاب بشكل فوري حينما تأتي بلغتها الأصلية....فمن الأسهل التعامل مع الكلمات المفاتيح في اللغة نفسها (دوريو 2007، ص91).

ومهما كان من أمر فإن دراسة الموضوع المعالج في وثائق كتبت باللغة المصدر واللغة الهدف مفيدة جدا، فمن شأنها أن:

- تسمح بفهم الموضوع بشكل جيد، إذ غالبا ما تتمم المعلومات المستقاة من الوثائق باللغة الأجنبية المعطيات المتوافرة في الوثائق باللغة الأم أو تضيئها.

- تعود المترجم على اللغة التقنية المستخدمة في المجال، أي أنها تساعد على اكتساب لغات الاختصاص.

- تمكن من استخراج المصطلحات الخاصة بالموضوع وذلك من خلال الإحاطة بالسياقات المتقابلة لوضع بطاقات اصطلاحية وتوثيقية كاملة (دوريو 2007، ص92).

ولا بأس من الإشارة إلى أن الاعتماد على المعاجم وحده لا يفي بالغرض. فالبحث الوثائقي "لا يؤتي أكله حين يكتفى فيه بالبحث عن مصطلح عربي (مثلا) مقابل المصطلح الأجنبي، لأن أصل المشكلة في المفاهيم ونقل المصطلح قبل نقل المفاهيم جري وراء السراب وقلب للمسألة على رأسها. وليس أسوأ في ترجمة الفنون الحديثة من أن يعود المترجم من غير الاختصاص، إلى ما يسمى - على سبيل الاتساع والتبرك- بالمعاجم الثنائية، وهي، في غالب الأحيان، قوائم تضم مصطلحات فن من الفنون. وفي مقابل كل مصطلح منها لفظ عربي معادل يقترحه المؤلف، ثم يقوم المترجم بنقل النص الأصلي إلى العربية بأن يستبدل بالمصطلح الأجنبي المصطلح العربي المقابل له، حتى لكان النص ذو ثقب، تنقل ألفاظه إلى العربية، ثم يؤتى بالمصطلح العربي فيه لملء الثقب الذي خلفه غياب المصطلح الأعجمي. إن هذا النوع من الترجمة، التي تجعل النص ذا ثقب، تنقل ألفاظه إلى العربية، ثم يؤتى بالمصطلح العربي فيه لملء الثقب الذي خلفه غياب المصطلح الأعجمي. إن هذا النوع من الترجمة، التي تجعل النص ذا ثقب لا يأخذ في الحسبان حاجة القارئ العربي، الذي لا يكفيه المصطلح عربي اللفظ ليفهمه، فليس في عروبة اللفظ ما يسمح بتجاوز المفاهيم (حمزة، 2009، ص18).

من الضروري إذا، ألا يحصر المترجم جهده في البحث عن المصطلحات، بل أن يجري بحثا أوسع يفتح له أبواب معرفة الموضوع. فالاطلاع على الوثائق المختلفة وباللغتين هو الذي يمكن من تحديد المفاهيم وإزالة الكثير من الغموض بل يقي من الوقوع في حبال اللبس والغموض. ومن حق المترجم أن يعود إلى المعاجم المختلفة، في نهاية البحث، بعد أن يثري مخزونه المعرفي ويستوعب الموضوع من جوانب عدة.

2- إستراتيجية البحث الوثائقي:

حتى يحقق المترجم هدفه من البحث الوثائقي، لابد أن يتبع إستراتيجية دقيقة. فما يحتاجه، في هذه المرحلة، الطريقة التي يستطيع من خلالها جمع مادته الأولى ثم كيفية استخدامه لهذه المادة في بنائه المعرفي الذي يسعى إلى إشادته.

1-2 الدقة في اختيار الوثائق التي تساعد على الفهم:

إن المترجم مضطر إلى تحديد هدفه بدقة، أي تحديد ما ينقصه من مكملات معرفية... ومن الضروري أن يعطي الأولوية للمصادر الأساسية، الأكثر حداثة، وأن يستبعد -قدر الإمكان- الوثائق الثانوية التي لا تخدم بحثه. فهو مطالب بـ:

- القدرة على تحديد الوثائق الضرورية،
- معرفة كيفية الوصول إليها بأسهل الطرق وأقصرها عن طريق الاستخدام الأمثل للفهارس الورقية والإلكترونية،
- الصبر والمثابرة في البحث عن المعلومات وجمعها.

2-2 تنظيم الوقت:

أن يخطط بدقة لبحثه حتى ينجزه في أسرع وقت ممكن، وأن يتجنب التخطي والمتاهة في أمور لا تخص موضوع الترجمة لأن الخوض في العموميات مضیعة للوقت يبعده عن الهدف. من الضروري، إذا، أن يدير وقته إدارة ناجحة لأنه مرتبط بفترة لإرجاع العمل المترجم إلى أصحابه. ومن الممكن أن يوزع وقته على مرحلتين:

- الاطلاع السريع على الفهارس ورؤوس الموضوعات في قوائم الكتب المختلفة، وذلك من أجل معرفة سعة الموضوع وآفاقه وجوانبه المتمثلة. ومن الممكن أن يقوم المترجم -خلال هذه المرحلة- بترتيب وثائقه حسب الأولوية.
- الشروع في عملية القراءة الفاعلة (أي العميقة) التي تساعد على الفهم لما لها من أهمية. ويمكن أن يعتمد على وثائق أساسية دون الإفراط في هدر الوقت المخصص للترجمة. "إن ضغوط الوقت تجبر المترجم على أن يحصر أبحاثه بما هو ضروري منها ولكن كاف للقيام بالترجمة التي بين يديه. عليه أن يقوم بكل الأبحاث الضرورية حتى يتيقن أنه سيفهم النص الأصلي ويشعر أنه مستعد لترجمته، ولكن عليه أن يوقف أبحاثه متى شعر أنها كافية. فهو ليس مخولاً القيام بنقد تقني للنص الذي بين يديه ولا اقتراح تحسينات على المنتج وإنما من أجل ترجمته" (دوريو 2007، ص75).

3-2 توخي الدقة والتعمق في الفهم:

إن مرحلة القراءة تعد من أهم مراحل البحث. فهي عملية الاطلاع والفهم لكافة الأفكار التي تتصل بالموضوع، تساعد المترجم على استيعاب أهم الحقائق والتعمق في اكتساب معارفه

الجديدة. "فليس بين القراءة وتحصيل المعنى قفزة ذهنية بل مسيرة ثابتة الخطى على جسر عبور يسمى الفهم دفعة واحدة بل بحذر وتأن وعلى المراقبة فالتحليل فالتفسير" (أبو فاضل، 2005، ص 88).

ويجدر بالمترجم أن يستغل المعلومات المستقاة من الوثائق بطرح أسئلة عميقة حول الموضوع، تمكنه من الفهم الجيد. ولا بأس أن يخلص إلى تسجيل النتائج التي توصل إليها بواسطة جدول للكلمات المفاتيح والملخصات والرسوم البيانية. المهم:

- أن يتوخى الدقة في الفهم وانتقاء كل ما هو جوهري ومرتبطة ارتباطا وثيقا بموضوع نص الترجمة.

- أن يكون منسجما مع بحثه وأن يكون ذهنه منفتحا على كل جديد .

- أن يجتنب الاجتهادات الخاطئة في شرحه للمعلومات التي يحتاج إليها.

- أن يرتب المعلومات المنتقاة بشكل منطقي .

- أن يتمكن في نهاية المطاف بالإلمام الكافي بالموضوع.

- أن يتحلى بالصبر والمثابرة. "فالبحث يحتاج إلى وقت وجهد ومن المهم ألا ينفر المترجم من المعلومات التي تبدو له صعبة المنال وإلا يفقد حماسه جراء استحالة الإحاطة بالموضوع الذي يدرسه" (دوريو، 2007، ص 94).

إن البحث الوثائقي ينعكس، بشكل أو آخر، على الترجمة. فهو ذو وجهين باطن وظاهر. "أما الباطن، فذلك العمل الدؤوب الذي يقوم به المترجم ولا يراه القارئ، لأنه ليست له علامات ظاهرة تدل عليه بصريح العبارة، وقد لا يظن إليه إلا القارئ النبيه الذي يقرأ ما بين السطور، وما خلف السطور. ليس في النص المترجم عادة عبارات صريحة تشير إلى رجح المترجم بين هذه الصياغة أو تلك، وكيف حزم أمره فاختار الصيغة التي قدمها لنا، وما هي المصادر والمراجع التي يمكن أن يكون قد عاد إليها لاختيار هذه الصيغة دون غيرها، وما هي المعاجم الثنائية أو الأحادية أو الموسوعات التي عاد إليها. وقد لا يكون في النص المترجم عبارة صريحة تحدثنا عن اختيار المترجم لهذا المصطلح دون غيره، وعن المصادر والمراجع المتخصصة التي عاد إليها لفهم هذه العبارة أو تلك في النص الأصلي، وعن القراءات التي قام بها في المجال الذي يترجمه قبل أن يقطع برأي، فيختار فهم جملة في النص الأصلي على طريقة معينة، وتقديمها على صورة دون أخرى. هذا

الجانب من جهد المترجم جهد هائل، ولكنه مستور، لا يصرح عن نفسه. غير أن القارئ الحصيف يستطيع أن يتبين هذا الجهد، لأن في ما يقرأه قرائن عليه. والقارئ الحصيف يستطيع أن يميز ترجمة عانى فيها صاحبها عنت البحث، من ترجمة أخرى نقل فيها المترجم النص من لغة إلى أخرى، ولم يكلف نفسه عناء البحث والتقصي، مع أن المترجمين كليهما لم يصرحا بهذا الجهد، ففي تقديم المادة واختيار المصطلح ما يشتم منه هذا الجهد المبذول. أما أصحاب الترجمة الرخيصة فلا يتعبون أنفسهم في بحث وتنقيب مضمينين ليست لهما آثار ظاهرة، وعلامات شاهدة، لأن النص المترجم عندهم في ظاهره شبيه بالنص المترجم الذي يشقى فيه مترجمه، كما يشقى مؤلفه. وأما الذين يتعبون، فيعولون على ذكاء القارئ وفطنته، وهمهم إرضاء ضمائرهم، وإشباع لذة البحث عندهم. أما الوجه الظاهر للبحث فقد يأخذ شكل هوامش وحواش وتعليقات وشروح يميز المترجم بينها وبين النص معتمدا على مكانها من المتن، أو على شكلها الطباعي، أو بالنص الصريح على أنها له. وعلى هذا الوجه الظاهر يعولون في أكثر الأحيان للحكم على جهد المترجم في مجال البحث وإن لم يكن، في حقيقة الأمر، أهم من الوجه الأول، ولا أكثر دلالة وفائدة" (حمزة، 2009، ص 73).

3- منابع اكتساب المعرفة:

إن مصادر المعرفة تمتد الباحثين والمترجمين والقراء بما يحتاجون إليه من معلومات وحقائق أساسية، عامة وخاصة. وهي عديدة ومتنوعة، توزع عادة على ثلاثة أقسام:

- الوثائق المطبوعة والإلكترونية:

- المعاجم والموسوعات

- الجرائد والمجلات المتخصصة

- الدراسات والكتب والرسائل الجامعية

- كل وثيقة مطبوعة أو إلكترونية مثل المستخلصات وبراءات الاختراع والبيبلوغرافيات والأدلة وأعمال المنتقيات والفهارس والتقارير والمخطوطات والرسائل الإخبارية والمراسلات والمذكرات (حشمت، 1988).

- الوسائل السمعية-البصرية:

- الأشرطة الممغنطة

- أشرطة الكاسيت

- أشرطة الأفلام والفيديو

- المتخصصون والخبراء: ويتم الاتصال بهم إما:

- بتحديد موعد معهم

- أو مراسلتهم بريدياً

من الواضح، إذا، أن مصادر المعارف أو أوعيتها عديدة. وهي ضرورية لأنها تمد القراء والباحثين بما يثري حصيلتهم اللغوية والثقافية وينمّيها ويجعلها مرنة طيعة في مجالي الأخذ والعطاء: مجال الاستيعاب والفهم والنمو المعرفي ومجال التعبير والإنتاج الإبداعي والثقافي. غير أن هؤلاء القراء لا يمكنهم أن يستفيدوا منها إلا إذا كانوا واعين بأهميتها ومدى فعاليتها وأثرها، ملمين بأنواعها وأوصافها وعيوبها وما يصلح منها لغرض معين ونسبة الرجوع إليها وكيفية استغلالها بطريقة عقلانية وسريعة.

وتعد فهارس المكتبات (قوائم الكتب) من أهم الوسائل المساعدة في الحصول على المعلومات. فهي تعنى بحصر الإنتاج المعرفي من كتب ومخطوطات ووسائل سمعية بصرية وغيرها من مصادر المعرفة، أي أنها تعين الباحث على التعرف على ما نشر من مؤلفات ورقية أو إلكترونية أو سمعية بصرية. وفي هذا المجال توفر الإنترنت تسهيلات عديدة للوصول إلى عدد كبير من فهارس المكتبات ودور النشر مثل مكتبة الكونجرس الأمريكية والمكتبة البريطانية ومكتبة جامعة شيكاغو وغيرها.

1-3 المعاجم الورقية والإلكترونية:

المعجم: أداة تعليمية وتربوية يجمع بين دفتيه أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة مقرونة بالشرح والتفسير... هو مصدر أساسي لتسهيل عملية التبليغ في اللسان ذاته إما عن طريق تحديد صلة الرموز والألفاظ الحضارية بالنظام اللساني بتقديم تعريف جامع ودقيق لها، وإما عن طريق الترجمة في لسان آخر أو عدد من الألسن. فهو يعمل على سد الفراغ لدى أفراد الجماعة اللغوية في المجال المعرفي مهما كانت هذه المعرفة، لسانية أو علمية...

هذا الكلام يعني أن المعجم قد يكون أحادي اللغة يبحث فيه عن معلومات عن لغة معينة بقصد التمكن منها واستعمالها استعمالاً حسناً ومناسباً للتواصل. وقد يكون متعدد اللغات يبحث فيه عن معلومات عن لغات أخرى وذلك من أجل التمكن من فهمها والتواصل معها.

والمعاجم أنواع عدة، أهمها:

- المعاجم اللغوية: وهي التي تشرح ألفاظ اللغة، وكيفية ورودها في الاستعمال، بعد ترتيبها وفق نمط معين من الترتيب، لكي يسهل على الباحث العودة إليها لمعرفة ما استغل من معانيها.

- معاجم الترجمة أو المعاجم المزدوجة أو الثنائية اللغة: وهي التي تجمع ألفاظ لغة أجنبية لتشرحها واحدا واحدا، وذلك بوضع أمام كل لفظ أجنبي ما يعادله في المعنى من ألفاظ اللغة القومية وتعايرها. وهذا النوع هو أقدم أنواع المعاجم، إذ استخدمه الساميون في العراق إبان الألف الثالث ق.م كما أنه أهمها وألزمها لمقتضيات الحضارة. ويلحق بهذا النوع من المعاجم المتعددة اللغات التي تعطي المعنى الواحد بألفاظ عدة لغات في معنى واحد.

- المعاجم الموضوعية (معاجم المعاني): وهي التي ترتب الألفاظ اللغوية حسب معانيها أو موضوعاتها، ففي مادة "نبات" مثلا تضع كل مسميات النبات وما يتعلق به، وفي مادة "لون" نجد فيها كل ما تضمه اللغة من أسماء الألوان بدرجاتها المختلفة. ومن المعاجم العربية الموضوعية القديمة "المخصص" لابن سيده الأندلسي، فهو يرتب الألفاظ التي جمعها لا بحسب لفظها بل بحسب معناها.

- المعاجم الاشتقاقية أو التأصيلية (المعجم التاريخي): وهي التي تبحث في أصول ألفاظ اللغة فتدللنا إن كانت الكلمة عربية الأصل أم فارسية أم يونانية... الخ.

- المعاجم التطورية: وهي التي تهتم بالبحث عن أصل معنى اللفظ لا اللفظ نفسه، ثم تتبع مراحل تطور هذا المعنى عبر العصور.

- معاجم التخصص: وهي التي تجمع ألفاظ علم معين ومصطلحاته أو فن ما، ثم تشرح كل لفظ أو مصطلح حسب استعمال أهله.

فهناك معاجم للزراعة، وأخرى للطب، وثالثة للموسيقى، ورابعة لعلم النفس وهكذا ولا يكاد علم من العلوم يخلو في زمننا من معجم يضم مصطلحاته.

وهذه المعاجم أنواع: منها مما يكتفي بإيراد المصطلح وما يقابله في لغة (أو لغات) أخرى...

ومنما ما يتبع ذلك بشرح موجز يوضح ذلك المصطلح.

وإلى جانب الأشكال السابقة توجد أشكال أخرى مثل "معاجم الدخيل والمستعار"،

و"معاجم الألفاظ المهجورة" و"معاجم المختصرات" و"معاجم الأخطاء الشائعة" وغيرها.

وتعد المعاجم المختلفة- مثلما سبقت الإشارة - نوعا من المواد المرجعية التي يتم الرجوع إليها للتعرف على معلومات محددة، سواء كان هذا التعرف على مرادفات الكلمة أو ضدها أو جمعها أو مقابلها في اللغات أو طريقة النطق بها واستعمالها في سياق معين.

والجدير بالتنبيه أن الانتقال من المعجم الورقي إلى المعجم الإلكتروني قد شكل طفرة نوعية في صناعة المعاجم وفي استعمالها وفي استثمارها في مجالات تطبيقية متعددة. وقد أدى هذا التحول إلى إحداث تغيرات إيجابية لدى المستعمل في تصور أهمية المعجم المتخصص سواء في تعلم لغات العلوم والتقنيات أو تعليمها أو في تيسير سبل التصنيف الدقيق لمصطلحاتها. وغني عن القول إن هذا المعجم لم يعد مقيدا بحجم معين، وذلك بحكم توافره على ذاكرة ذات سعة تخزين كبيرة، تستطيع أن تستوعب كما هائلا من المعلومات. ولم يعد مقيدا بترتيب معين، إذ يحتوي على برنامج يقوم بتنظيم معطياته وتديرها. كما أنه لم يعد مقيدا بطريقة واحدة في البحث بما يتمتع به من إمكانات متعددة كالبحث بواسطة الكلمة أو المرادف أو المعنى أو الموضوع. وعلاوة على ذلك كله فإنه يتميز بالسرعة في البحث والدقة في إيراد المعلومة المطلوبة ويسمح بتعديل موادته بالإضافة أو الحذف أو غيرهما (شبكة تعريب العلوم الصحية، 2005، ص213).

وفي الحقيقة إن المجالات العلمية تزدح بأشكال المعاجم المختلفة، الورقية منها والإلكترونية، حتى ليصعب إحصاؤها جميعها. وتنوعت بتنوع الأهداف التي وضعت من أجلها والتي نذكر منها:

- صيانة اللغة الوطنية وتنميتها وتطويرها بما يتناسب مع متطلبات العصر.
- تقريب المعارف والعلوم من خلال الربط بين عشرات المعاجم العامة والخاصة المتعددة اللغات.
- توفير المصطلح في جميع العلوم والتخصصات.
- تيسير الترجمة.
- تيسير تعليم لغة من اللغات باعتبارها لغة أجنبية (شبكة تعريب العلوم الصحية، 2005، ص214).

ومهما كان من أمر، فإن المعاجم وسيلة فقط تساعد على حل مشاكل جزئية، إذ من الضروري-مثلما سبقت الإشارة إلى ذلك-الاعتماد على البحث قبل الاستعانة بها. تقول الباحثة الفرنسية ك.دوريو:

"وقد تعلمت، من خلال التجربة، الحذر من المعاجم الثنائية اللغة ومزيدها من الحذر من المعاجم المتعددة اللغات، واعتدت التعامل مع الموسوعات والبحث الوثائقي. وأني لأعمل على جعل هذه الطريقة أكثر دقة على قدر المصاعب التي أواجهها والحاجات التي أشعر بها والوسائل التي أمتلكها" (دوريو، 2007، ص 15-16).

فمن الخطأ، إذن، الاعتماد الكلي على هذه المعاجم، "فالببحث في المعاجم الثنائية اللغة، وهي المعاجم التي يسرع المترجم إليها في الأعم الأغلب، لا يشفي غليلا سواء في ذلك معاجم الألفاظ العامة ولوائح المصطلحات الثنائية اللغة. حتى المعاجم المتخصصة التي تكتفي بحدود المصطلحات قد لا تؤدي الغرض المقصود منها. بل لابد من البحث عنه..." والبحث في المصطلح لا يكون بحثا لغويا فحسب، وإن كانت اللغة من مقوماته. وإنما هو أيضا بحث في الخلفيات المعرفية والمفاهيم... (حمزة، 2009، ص 17-18).

2-3 الموسوعات أو دوائر المعارف:

الموسوعات من الوثائق الأساسية التي "تحمل فائدة تقديم معلومات مكثفة حول موضوع معين، من دون هدر للوقت باستخدام الفهرس الذي يسمح بتحديد موقع الموضوع المطلوب". فهي كفيلة بأن تعطي أجوبة عما يعرض على الباحث من قضايا مختلفة حول الدول والأماكن والأزمنة والشخصيات والأزمات والحروب وغير ذلك لأنها ليست جهد فرد واحد وإنما حصيلة عمل عدد كبير من الباحثين.

والموسوعات نوعان:

- العامة التي تعالج مجالات المعرفة الإنسانية المختلفة دون تفريق بينها:

- المتخصصة التي تهتم بمجال واحد مثل الفلسفة أو الطب أو الاقتصاد.

وما يعاب حاليا على الموسوعات بشكل عام هو عجزها - في بعض الأحيان - عن ملاحقة تطور المعرفة البشرية في علوم سريعة التطور مثل الطب أو الهندسة، لأن عجلة التقدم في هذه الاختصاصات لا تتوقف لحظة واحدة من الزمن، وتعبير آخر: إن معلوماتها تتقادم بسرعة مذهلة، الأمر الذي يعني أن الباحث مطالب بالاستعانة بوثائق أخرى من أجل سد النقص وجمع المعلومات الأساسية.

ومن المعروف أن الموسوعات المتخصصة ضرورية للمترجم لأنها أشد تفصيلا في معالجة موضوعاتها كما أنها تهتم بالبيبليوغرافيات اهتماما كبيرا وتوثق الإحالات. فهي تمدنا بمعلومات عن كل شيء. وقد توجهه إلى مراجع ووثائق أخرى من أجل إثراء المطالعة وفهم كل ما هو غامض.

3-3 الكتاب الورقي والإلكتروني:

يعد من أكثر مصادر المعرفة انتشارا لأسباب كثيرة، أهمها:

- قدرته على ضم المعرفة بكل أبعادها الزمانية والمكانية. بين دفتيه.
- سهولة حمله وتداوله.

والكتاب أشكال مختلفة، كتاب مطبوع، وهو يقسم إلى:

- مطبوع غير منشور مثل الرسائل الجامعية والتقارير الصادرة عن مراكز البحوث وأماي الأساتذة (Polycopies) وغيرها.
- مطبوع منشور على الورق أو إلكترونيا.
- كتاب مخطوط: الذي كتب بخط اليد سواء أكان قديما أو حديثا. ومن المعروف أن قيمة المخطوط تزداد كلما ازداد عمره. وثمة مخطوطات تباع بأثمان عالية في المزادات العالمية.

وقد ميز المختصون (إبراهيم صبيح وآخرون، 1977) بين أنواع مختلفة من الكتب، نذكر

منها: على سبيل المثال:

- الكتب المدرسية: الخاصة بالمقررات الدراسية، وهي تشتمل على الحقائق الأساسية والمعلومات العامة والنظريات المشهورة.
- الكتب أحادية الموضوع: تركز لدراسة موضوع واحد دراسة وافية وشاملة.
- الأعمال الجماعية: كتب يقوم بتأليفها جماعة من الباحثين، مثل أعمال الملتقيات وأعمال مخابر البحث وغيرها من الأعمال التي يشترك في نشرها باحثان أو أكثر.

4-3 المجالات الورقية والإلكترونية:

تعد شريانا هاما من شرايين المعلومات في المكتبات ومراكز البحث في مختلف مجالات المعرفة. فهي لا تتضمن معارف أساسية فحسب وإنما تؤدي دورا كبيرا في البحث لأنها غير مكلفة وتعالج موضوعات متنوعة.

والملاحظ أن المجالات تهتم عادة بالدراسات التقييمية والتحليلية في مجالات أو موضوعات معينة. فهي تصدر في فترات محددة ومنظمة وتتميز بتنوعها وغزارة معلوماتها وتجدها وتعدد مواضيعها.

وتتوافر على الانترنت مئات من المجلات والنشرات الإخبارية في مواضيع متعددة ومتنوعة. ولا تختلف هذه الدوريات عن نظيراتها الورقية من حيث انتظام الصدور وهيئات التحرير والمراجعة. ويمكن الحصول على قائمة كاملة بعناوين الدوريات المتوفرة على الانترنت من خلال الموقع (News jour) الذي يضم أرشيفه المئات من العناوين.

3-5 الوثائق السمعية البصرية:

هي فئات من أوعية المعلومات تقوم على تسجيل الصوت أو الصورة المتحركة أو كلاهما معا بإحدى الطرق التكنولوجية الملائمة. وتظهر في أشكال متنوعة أشهرها الشريط والقرص والأسطوانة:

- المواد السمعية-البصرية التي يعتمد في استقبالها على حاسي السمع أو البصر أو كلاهما. فالأفلام - مثلا - تأتي أهميتها لاحتوائها على ثلاثة عناصر، الصورة والحركة والصوت، الأمر الذي يساعد على تثبيت المعلومات والحقائق في ذهن المشاهد.
- الأوعية المتعددة وهي مزيج من أوعية المعلومات المطبوعة وغير المطبوعة مثل الكتب والنشرات والمجلات والصور والأفلام والشرائط الصوتية. وتتجلى أهميتها في نقل المعلومات وتبادلها في التعليم والثقافة والتدريب.
- المصغرات الفيلمية Microfilms: توفر بعض الوثائق التي لا يمكن الحصول عليها بشكلها الأصلي لندرة النسخ المتوفرة فيها أو خوفا من تلفها إذا استخدمت أصولها. ومن أكثر المواد تخزينا على المصغرات: التقارير العلمية، الرسائل الجامعية، الكتب والوثائق النادرة (العايدي، 1995).

وتحقق الوسائل السمعية البصرية، أهداف عدة، نذكر منها:

- توفير الوقت والجهد والمال.
- تزويد الباحث بوثائق تتناسب مع ميوله، واختصاصه.
- الاستفادة من تجارب مختلفة ومتنوعة.
- تلقي المعلومات بطريقة أكثر فاعلية (الفنيش، 1991، ص 170-199).

من الواضح، إذن، أن مصادر اكتساب المعارف متنوعة، غير أنها لا (ولن) تؤدي ثمارها إلا إذا وجدت من يحسن استغلالها. وليس غريبا أن تعمل مدارس الترجمة على تكوين مترجمين ذوي تأهيل عال قادرين على تنفيذ ترجمات على المستوى المهني. ففي تدريبهم -منذ شهور التكوين الأولى- على القراءة والبحث المنهجي المتواصل والفهم والتحليل والتلخيص والتركيب. أما التدريبات العملية

داخل المكتبات وقاعات الانترنت فهي ضرورية لكل الطلبة، بل إجبارية، لأنها تساعد على جمع المعلومات وتركيبها واكتساب خبرات معرفية في مجالات شديدة التنوع.

4. المصادر والمراجع:

- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ب.ح.ث). مادة (و.ث.ق).
- أبو فضل جينا (2005). المترجم في عمارتي النص: الشكل سمة دخول إلى المعنى، بيروت، منشورات جامعة القديس يوسف.
- بدر أحمد (1977). أصول البحث العلمي ومناهجه، الكويت، وكالة المطبوعات.
- حشمت قاسم (1988). مصادر المعلومات وتنمية مقتنيات المكتبات، القاهرة، مكتبة غريب.
- حمزة حسن (2009). الترجمة البحث، مجلة العربية والترجمة، ع1.
- الخطيب محمد عجاج (1971). لمحات في البحث، بيروت.
- دوريو كريستين (2007). أسس تدريس الترجمة التقنية، ترجمة هدى مقنص، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.
- شبكة تعريب العلوم الصحية (2005). علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية، البرنامج العربي لمنظمة الصحة العالمية.
- الصباغ ليلى (1978). دراسة في منهجية البحث، دمشق، مطبعة خالد بن الوليد.
- صبيح إبراهيم وآخرون (1977). المكتبة العربية والثقافة المكتبية، القاهرة، دار الحامد.
- العايدى محمد عوض (1995). المواد السمعية البصرية والمصغرات الفيلمية، القاهرة، مركز الكتاب للنشر
- الفنيش أحمد علي (1991). استراتيجيات التدريس، طرابلس، الدار العربية للكتاب.
- نعمان منصور، النمري غسان (1998). البحث العلمي حرفة وفن، عمان، دار الكندي للنشر.
- Dictionnaire Robert, recherche documentaire.
- Valiquette, Michèle. Recherche documentaire dans le cadre d'une recherche thématique, revue Meta, XXIV, 3.